طاقة الحرف في اللغة العربية بين الجلال الجمال

أسامة محمد سعيد إبراهيم

جامعة بحري

المستخلص:

للحروف معانيها و صفاتها الخاصة و طاقاتها المادية و المعنوية المنبعثة من خلالها، فتكتسب بهذه الخصائص الألق الجميل الذي يمنح المفردة قوة الدلالة و عنفوان التعبير والتأثير المدهش فيما حولنا من مشاعر وأنفس ودقائق ورقائق، هذا الذي دفعني لهذه الدراسة، حيث إن أهميتها تنبع من كونها تناولت موضوعاً كبيرًا شغل الدارسين قديمًا وحديثًا، ألا وهو الحروف العربية، فقد جاءت الورقة بعنوان :" طاقة الحرف في اللغة العربية بين الجلال والجمال"، وبالتالي تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على هذا الموضوع ، وأن تسهم بنثر جلال وجمال الحرف العربي من أعابيق مختلفة. وقد تناولت الورقة البحثية الحروف وما يتعلق بها من ترتيب ومخارج وصفات وطاقات جلالية وجمالية تنبعث منها ، كما تناولت الورقة الحروف المقطعة في القرآن الكريم وما ورد فيها من آراء ، وتناولت زيادة ونقصان الحروف في الكلمة مع دلالة معاني بعض الحروف، وذكرت حرف الروي في القصيدة العربية من خلال منهج استقرائي وصفي تحليلي.

كلمات مفتاحية: *الحروف، الصفات ، المخارج .*

ABSTRACT:

Letters have characteristics, descriptions and physical and abstract energy that reflect beautifying delightedness as well as semantic expressiveness of deep inner emotional feeling. The researcher attempts the importance of the Arabic Alphabet in terms of their energy in order to clarify their beautiful aspects and flavour thus, syllabic sequence, places and manners of articulation with special reference to the Holy Quran and the semantic components applied on the Arabic poetry via descriptive, analytical and deductive methodologies.

Keywords: Letters, Adjectives, Outlets.

المقدمة:

الحرف ،هذا الكائن العجيب حقاً ، له كثير من الرؤى والدلالات العميقة منها والظاهرية ، فهناك من يرى أن هذا الكائن العجيب له روح وجسد (إبراهيم ،يوسف،2012م) ، و هذه الرؤية تنظر إلى أن جسد الحرف هو مادته و رسمه.. و روحه هي طاقته وقيمته ، فعلى سبيل المثال الألف برسمها المعروف هي الجسد و المادة ، أما طاقته فهي تقدر بواحد، و كذا الباء برسمها المعروف تعبر جسد و مادة الحرف، أما قيمته و طاقته فهي الرقم اثنين. و تقاس على ذلك بقية الحروف الهجائية و التي يذهب أصحاب هذه الرؤية فيها بعيدًا إلى حساب طاقة الأسماء والجمل و العبارات من خلال مجموع طاقة حروفه .

هناك أيضاً من كان له رؤية أخرى للحروف و مكنوناتها ومدلولاتها فعلى سبيل المثال حرف النون يرون أنه يعني الباطني أي الشيء الداخلي فالكلمة التي بها نون نجدها تدل على شيء باطني... فالعين بها حرف النون وهي فعلًا باطنية وعن طريقها ينفذ المرء من داخله إلى العالم الخارجي فيرى الأشياء من حوله ، ومن ذلك أذن ، أسنان ،

لسان... ، كما يرون أصحاب هذه الرؤية حرف الفاء أنه حرف نافذ ويأتي في الكلمات النافذة ... ومنها الفجر وهو نفوذ النور في ستر الظلام ... كلمات كثيرة بنيت من حروف ذات مدلولات عميقة وسطحية صح منها ما صح واختلف منها ما اختلف.

الواقع أن مفهوم طاقة الحرف في العربيةيرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم ويقترن أيضاً بالتحدي وسبر الأغوار ، وبخصائص اللغة العربية ومدى طواعيتها على تقبل نمطين من الكلام الأول إلهي سماوي، والثاني بشري أرض. قال محمود محمد شاكر: "فإذا صحّ أن الإعجاز كائن في رصف القرآن ونظمه وبيانه بلسان عربي مبين، وأنّ خصائصه مباينة للعهود من خصائص كل نظم وبيان تطيقه قوى البشر في بيانهم ، لم يكن لتحديهم به معنى إلا أن تجتمع لهم وللغتهم صفات بعينها منها : أن اللغة التي نزل بها القرآن معجزاً ، قادرة بطبيعتها هي أن تتحمل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين : كلام هو الغاية في البيان فيما تطيقه القوى ، وكلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه". (مالك، نبي،ص25،1961م).

لقد وُفق شاكر في الوقوف على أهم خصائص العرب ولغتهم ، وعلاقة كل ذلك بإعجاز القرآن الكريم المفضي إلى الإيمان به والتصديق برسوله من دون البشر، وفي هذا قمة التحدي وإثبات العجز.

أهمية الدراسة: انطلاقاً من أهمية الموضوع في حقل الدراسات الحديثة، ولكونه ما زال يتعهد بالدراسات والبحوث والتنقيب والاستقصاء، من هنا نبعت أهمية هذا النوع من الدراسات المرتبط بطاقة الحرف كمكون رئيس للألفاظ والجمل ومجمل الكلام، وتوظيف هذا في عالم البشر وما يحيط به من جلال وجمال، وإكمال مقصد التواصل بين لغة الإنسان والطاقة في الحرف العربي.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى التوضيح بأن هناك طاقة في الحرف العربي، فيشترك في تفاعلها الجهاز النطقي، وما يخص مخارج وصفات الحروف، وما في الحرف من سر عجيب يحتاج لكثير من الدراسات والبحوث.

منهج الدراسة:

وقد بني منهج الدراسة على استقراء ما ورد من آراء في هذا الموضوع – ليس حصرا – وتحليل هذه الآراء ما أمكن ذلك ، مع استصحاب المنهج الوصفي.

مدخل: الحرف من كل شيءٍ طَرَفُه وشَفِيرُه وحَدُّه ومنه حَرْفُ الجبل ، وهو أعلاه المُحَدَّد. والحَرْفُ : واحد حُروف التهجّي. (الجوهري، حماد،ص123،1956م).

وعند النحاة : ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل... ومن الناس مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ على حَرْفٍ" ، أي وجْهٍ واحِدٍ ، وهو أنْ يَعْبُدَه على السَّرَّاءِ لا الضَّرَّاءِ ، أو على شَكٍّ ، أو على غَيْرِ طُمأنِينَةٍ على أمْرِه، أي لا يَدْخُلُ في الدينِ مُتَمَكِّناً. و نَزَلَ القُرآنُ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ " سَبْعِ لُغاتٍ من لُغاتِ العَرَبِ، ولَيْسَ مَعْناهُ أن يكونَ في الحَرْفِ الواحِدِ سَبْعَةُ أوْجُهٍ ، وإنْ جاءَ على سَبْعَةٍ أو عَشَرَةٍ أو أكْثَرَ، ولكنِ المَعْنى هذه اللُّغاتُ السَّبْعُ مُتَفَرِّقَةٌ في القُرآنِ. وحَرَفَ لِعِيالِهِ يَحْرِفُ كَسَبَ ، والشيءَ عن وجْهِه: صَرَفَهُ المُحْتَرَفُ:مَوْضِعٌ يَحْتَرِفُ فيه الإنْسانُ، وتَحَرَّفَ، وتَحَرَّفَ... والحِرْفَةُ، بالكسرِ: الطُّعْمَةُ، والصِناعَةُ يَرْتَزِقُ منها، وكُلُّ ما اشْتَغَلَ الإنْسانُ به... والتَّحْرِيفُ: التَّغْيِيرُ. (آبادي ، الفيروز،ص365،1935م).

ومن هنا سميت حروف المعجم حروفاً ، وذلك لأن الحرف حدّ منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ، أو لأنها جهات للكلم ونواحٍ لها .

والحرف عند بعض المحدثين له دلالة عضوية يرتبط بأعضاء الإنسان من بدء تخيل الحرف حتى النطق به (فارس، أحمد،ص1989،56م):

ح: صورة الحبل يعني الامتداد والتوصيل مطلقاً .

ر: يعني صورة الرأس مكان التفكير ذهنياً .

ف: صورة الفم موضع التعبير صوتياً .

وعليه يكون المعنى الناتج : امتداد التفكير في التعبير أو الحبل الواصل بين الرأس والفم.

ترتيب الحروف : الحرف أحد حروف الهجاء الأصلية ثمانية وعشرون حرفاً، أو تسعة وعشرون، منها يتكون كل ما نتلفظ به ونقرأه في كلام العرب. واتخذت الحروف في ترتيبها أشكالاً منها:

الترتيب الأبجدي: حروف الكتابة العربية، أكثر من حروف جميع كتابات الأمم . فإنها ثمانية وعشرون حرفاً . وهي: "أبجد، هوز، حطي كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ." (الجزائري، عبد القادر، ص24،2011م)، ويعبرون عنها بأبجد. وهي عبارة عن ثمان كلمات مشهورة ، مفتتحة بهذه الكلمة، جمع فيها جميع حروف الكتابة العربية، بلا تكرار. وقد جرت العادة ، بتعليمها المبتدئين، بعدما علموهم حروف الهجاء، مفرداتها ومركباتها الثنائية، على ترتيب مألوف للطباع، منشط لهم، على أخذه وضبطه. والفائدة في ذلك، هو التنبيه للمبتدئ، بعد تعلمه المفردات والثنائيات ، أن في الكلام ، تركيبات ثلاثيات ورباعيات، غير منتظمة على نظم مألوف، ليستأنس بوقوع المخالفة بين الحروف ، فيسهل عليه الشروع في الكلام المطلق.

وفيه فائدة أخرى. وهي إيناس المبتدئين، بألفاظ مستعملة ، في معنى من المعاني ، بعدما كانوا يستعملون تركيبات من الحروف مهملة، لا معنى لها. ويؤيد هذا، "أن معنى أبجد، أخذ . ومعنى هوز، ركب. ومعنى حطي، وقف علي المقصود. ومعنى كلمن ، صار متكلماً . ومعنى سعفص، أسرع في التعلم. ومعنى قرشت ، أخذه بالقلب ، ومعنى ثخذ ، حفظ. ومعنى ضظغ ، أتم. وتكون كلها ، على صفة الماضي، من الثلاثي أو الرباعي . فمعنى المجموع على ترتيبها : أخذ، ركب، وقف على المقصود، صارم متكلماً ، أسرع في التعلم، أخذه بالقلب، حفظ، أتم". (الجزائري،عبد القادر،ص25،2011م)، وعلى هذا ، يمكن اعتبار فائدة أخرى فيها، وهي تأليف المبتدئين بالمعاني المربوطة ، بعضها ببعض، بنوع من الارتباط ، ليتفطّن المتعلم الذكي– إذا عرفها – إلى أن الأهم له، اللائق به، في حال التعلم، ما يُفهم من هذه الكلمات، من: لأخذ، والتركيب ، والوقوف على المقصود ، وتكرار التكلم ، والإسراع في التعلم، والإقبال عليه بالقلب ، وحفظه له ، والقيام بحق من الإتمام، وغيره.

قيل: "وأبجد إلى قرشت، وكلمن رئيسهم، ملوك مِدْين. وضعوا الكتابة العربية، على عدد حروف أسمائهم، هلكوا يوم الظلَّة... إلى أن قال : ثم وجدوا بعدهم : ثخذ ضظغ، فسموها الروادف!!" (آبادي، الفيروز، ص1935،366م).

هذه الكلمات الثمانية، فرَّعوا عليها، من قديم الزمان ، الحساب المشهور بالجمل بضم الجيم، وفتح الميم، فإن جميع حروف الهجاء، المجموعة فيها ، ثمانية وعشرون حرفاً . فجعلوا سبعة وعشرين حرفاً منها، لأصول مراتب الأعداد، من الآحاد والعشرات والمئات. وواحداً للألوف ، فلم يحتاجوا– معها– إلى ضم شيء آخر إليها أصلاً عن تكرارها ، كلما احتاج أهل الهند ، في أرقام حسابهم ، إلى ضم علامة صفر إلى عشراتهم ، وصفرين في مئاتهم، وثلاثة في آحاد الآلاف وهكذا. فيحصل المقصود، في جميع المراتب، من هذه الحروف نفسها، بالإفراد والتركيب والتقديم والتأخير، كما هو مقرر معروف.

قال المسعودي في تاريخه: قد كان عدة أمم تفرقوا في ممالك متصلة ؛ منهم المسمى بأبي جاد ، وهوَّز، وحطي، وكلمن، وسعفص، وقرشيات، وهم بنو المحصن بن جندل بن يصعب بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام. (السيوطي،عبدالرحمن ،ص1967،309م).

وأحرف الجُمَّل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الأربعة والعشرون حرفاً التي عليها حساب الجُمَّل، وقد قيل في هذه الحروف غير ذلك؛ فكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز، وكان هوز وحطي ملكين بأرض الطائف، وما اتصل بها من أرض نجد ، وكلمن وسعفص وقرشيات ملوكاً بمدين، وقيل: ببلاد مضر، وكان كلمن على أرض مدين وهو ممن أصابه عذاب يوم الظُّلَّة مع قوم شعيب. (السيوطي،عبدالرحمن ،ص1967،310م).

علاقة الأرقام بالحروف الأبجدية (الهاشمي، السيد، ص2005،199م):

أ=1 ، ب=2 ، ج=3 ، د=4 ، هـ=5 ، و=6 ، ز= 7 ، ح=8 ، ط=9 ، ي=10، ك=20 ، ل =30 ، م=40 ، ن=50، س=60 ، ع=70،ف=80 ، ص=90 ، ق=100 ، ر=200 ،ش=300 ، ت=400 ، ث=500 ، خ=600 ، ذ=700 ، ض=800 ، ظ=900 ،غ=1000.

الترتيب الألفبائي: وهو المعمول به حالياً وينسب إلى عاصم الليثي أو يحيى بن يعمر العدواني، وهي: أ، ب ، ت، ث، ج، ح ، خ، د، ذ ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و ، لا، ي.

الترتيب الصوتي أو الخليلي:

ترتيب حروف الهجاء الذي قام عليه تأليف كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي،وحروف الهجاء في كتاب العين مرتبة على أساس بعد المخرج الصوتي على النحو الآتي: ع ح هـ خ غ – ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط د ت – ظ ذ ث – ر ل ن – ف ب م – وا ئ (أحمد، الخليل، ص1989،29م).

مخارج وصفات الحروف:(محمد ،مناف،ص41 ،1998م) .

وللحروف مخارج وصفات تؤثر في الإحساس بالمعنى ، فحروف اللغة العربية ثمانية وعشرون حرفاً تتوزّع على مخارج تنتشر ما بين الصدر والشفتين ، وهي التي تعطي الحرف طاقة دفع ليكوِّن الصوت من خلال هذه المخارج،فبعد خروج الهواء من الرئتين يمر بالحنجرة فتنشأ الاهتزازات التي تنتقل خلال الهواء الخارجي بعد صدورها من الفم أو الأنف ، فتكون مخرج الحرف وصفته.

تعريف المخرج: هو محل خروج الحرف الذي ينقطع عنده الصوت فيتميز به عن غيره، سواء كان الصوت معتمدا على مخرج محقق أو مخرج مقدر.

يمكنك معرفة مخرج الحرف بالنطق به ساكناً أو مشدداً مع إدخال همزة الوصل عليه والبدء بها محركة بأي حركة (الفتح أو الكسر أو الضم)، فحيثما ينقطع صوت النطق بالحرف فثَم مخرجه. إذا قلت مثلا " **أبْ** " فستجد مخرج حرف الباء من الشفتين. وإذا قلت مثلا " **أنْ** " فستجد أن مخرج حرف النون من طرف اللسان من جهة ظهره مع ما يقابله من لثة الأسنان العليا.

اختلف علماء التجويد في تحديد عدد مخارج الحروف التفصيلية على ثلاثة مذاهب (القرآن ،أحبة،2009م):

المذهب الأول: سبعة عشر مخرجاً: وعلى هذا المذهب جمهور القراء وهو اختيار الخليل بن أحمد وابن الجزري الذي يقول في متنه:

مَخَارِجُ الْحُرُوفِ سَبْعَةَ عَشْر عَلَى الَّذِي يِهِ خْتَارُه مُتِاخْتَبِر

المذهب الثاني:ستة عشر مخرجاً:وذلك بإسقاط مخرج الجوف،وهو مذهب سيبيويه والشاطبي.

المذهب الثالث: أربعة عشر مخرجا: وذلك بإسقاط مخرج الجوف وجعل مخرج اللام والراء والنون مخرجا واحدا عوضا عن ثلاثة. وهذا مذهب الفراء وقطرب وغيرهما.

والصفة هي الكيفية التي تعطى للحرف عند النطق به بحيث تميزه عن غيره.

فوائد معرفة صفات الحروف:

- تمييز الحروف المشتركة في المخرج نفسه بعضها عن بعض حال تأديتها. فمثلا الثاء والذال والظاء تخرج كلها من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ولا يُميز بينها إلا بإعطاء كل حرف حقه من الصفات.
- تحسين النطق بالحروف وذلك بإعطاء كل حرف حقه ومستحقه مخرجا وصفة.
- معرفة الحروف القوية والضعيفة من حيث الصفات وما يترتب عن ذلك من معرفة ما يجوز إدغامه وما لا يجوز وما يدغم إدغاما كاملا وما يدغم إدغاما ناقصا.

تنقسم الصفات إلى قسمين:

1. **الصفات اللازمة:** وهي الصفات التي من ذات الحرف لا تنفك عنه مطلقا. كالاستعلاء والهمس وغيرها.
2. **الصفات العارضة:** هي صفات مكملة للحرف تعرض له في أحوال معينة ولا تؤثر في ذاته إذا انفكت عنه، كالتفخيم والترقيق والإدغام والمد والإخفاء وغير ذلك.

اختلف العلماء في عددها وأشهر الأقوال إنها سبعة عشر صفة لازمة.وتنقسم الصفات اللازمة إلى قسمين:

1. **الصفات المتضادة:** وهي خمس مجموعات في كل مجموعة صفتان متضادتان. فإذا وجدت صفة منهما في حرف امتنع عليه ضدها، ولا بد للحرف من أن يتصف بإحدهما. وهذه الصفات هي:
   - الهمس وضده الجهر.
   - الشدة وضدها الرخاوة وبينهما التوسط أو البينية.
   - الاستعلاء وضده الاستفال.
   - الإطباق وضده الانفتاح.
   - الإصمات وضده الإذلاق.
2. **الصفات التي لا ضد لها:** وهي سبع صفات:

- القلقلة – الصفير – اللين– الانحراف – التفشي – الاستطالة – التكرير.

وأضاف بعض العلماء صفتين أخريين لا ضد لهما وهما : الخفاء والغنة.

ولاستخراج صفات حرف ما، نقوم أولا باستعراض مجموعات الصفات المتعارضة، فنثبت للحرف أحد الصفتين. وبناء على هذا ينبغي أن يتصف كل حرف بخمس صفات من ذوات الأضداد.

ثم بعد ذلك نقوم بعرضه على بقية الصفات التي لا ضد لها ، فإن كان متصفا بأحدها أثبتنا له هذه الصفة وأضفناها إلى الخمس المتقدمة.

هذا ولا يتصف الحرف بأقل من خمس صفات (المتضادة) ، ولا أكثر من سبع (الخمس المتضادة مع صفتين أخريين).

الصفات القوية والضعيفة والمتوسطة:

يمكن تقسيم الصفات اللازمة إلى صفات قوية وأخرى ضعيفة وأخرى متوسطة.

1. **الصفات القوية:** وهي الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والقلقلة والصفير والانحراف والتفشي.
2. **الصفات الضعيفة:** وهي الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح واللين والخفاء.
3. **الصفات المتوسطة:** التوسط (بين الشدة والرخاوة) والإصمات والذلاقة.

والبعض يقسم الصفات إلى قوي وضعيف بجعل التوسط والذلاقة من الصفات الضعيفة والإصمات من الصفات القوية.

في الآيات الكريمة أدناه احتشدت الكافات المشددة واللامات وما يوحي بالشدة والصرامة والخوف . في قول تعالى: " كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30) " الفجر 20-30

قال ابن زيدون (التلمساني،أحمد،ص1997،206م):

ودَّع الصَّبر محبٌّ ودَّعك ... ذائعاً من سرّه ما استودَعكْ

يا أخا البدر سَنَاءً وسَنَى ... حَفِظَ الله زَماناً أطلَعك

لاحظ السيولة والسلامة والرقة فالسينات المتوالية متحركة (في معظمها) ، مما يجعلها تعطي انطباعاً بالهمس والعذوبة ، كذلك فإن (ودعك) و(استودعك) و(اطلعك) متقاربة توحي بالوداعة والهدوء، وهو ما يلائم الحالة النفسية التي تكشف عنها الأبيات .

جلال الحرف العربي:

مطلوب دائماً من المؤمن أن يتدبر القرآن ويجوّد حروفه ، فالتجويد هو" تلاوة القرآن باعطاء كل حرف من حروفه حقه في مخرجه وطبقته اللازمة له من همس، وجهر، وشدة، ورخاوة، ونحوها، وإعطاء كل حرف مستحقه كل حسب ما يسمح به ظرفه وما يتيسر له من وقت" (لبيب، السعيد، ص1970،78م)، فالقرآن ليس حكراً على أحد ، وهو كتاب أنزله الله لكل البشر وليس لفئة محددة من العلماء والمختصين، أقل ما يمكن أن نجنيه من تدبر القرآن أن يرحمنا ويشفينا ببركته ويكف كيد المستهزئين بنبينا عليه الصلاة والسلام . قال تعالى:" وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82) " الإسراء 82.

فكل من لا يتدبر القرآن مقفل القلب ولو كان يظن نفسه أنه مؤمن! ومن لم يصدق هذا الكلام ليقرأ قوله تبارك وتعالى أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" محمد: 24.

وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ". (البيان،مجلة، ص1993،223م).

هذه الوجهة التي نريد أن نقدمها للمناقشة وإبداء الرأي فيها بهدف زيادة الإيمان ، فلا ننتظر الغرب حتى يكشف لنا الحقائق فلابد من أن نتحرك ولو قليلاً ونحن المسلمين لدينا أساس قوي جداً غير متوفر لدى الغرب وهو القرآن الكريم.

علم الطاقة:

يتحدث العلماء عن علم الطاقة والطاقة الكونية والطاقة الحيوية فهل في القرآن نوع من أنواع الطاقة الشفائية أو الطاقة التي تغير حياة الإنسان بالكامل.

نتلقى الطاقة في كل لحظة من عمرنا على شكل موجات ضوئية وكهربائية ومغنطيسية، فالشمس وهي أكبر مصدر للطاقة بالنسبة إلينا تبث حرارتها وضوءها على شكل اهتزازات ، هذه الاهتزازات تؤثر فينا وقد لا نرى هذا التأثير ولكننا ندرك نتائجه.

إن جزيئات الماء تهتز في كل خلية من خلايا جسمنا ، حتى الصوت الذي نسمعه ما هو إلا اهتزازات لها تردد معين ، وقد عُرّف الصوت بأنه :" تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان" (أنيس، إبراهيم،ص6،1981م). والأشياء التي نراها فإننا نراها بواسطة الضوء وهو عبارة عن اهتزازات لها ترددات محددة لكل لون من ألوان الضوء. حتى الأحاسيس والمشاعر والقلق والخوف والحب وغير ذلك ما هي إلا اهتزازات لا نشعر بها، ولكنها في الحقيقة موجودة.

الحرارة التي نحس بها والبرودة التي تجعلنا نرتجف ما هي إلا اهتزازات أيضاً لا نراها ولكنها موجودة ! إن كل ذرة في جسدنا تهتز بسرعة لا يتصورها مخلوق ، والسوائل داخل الخلايا تهتز أيضاً ، ويمكن القول إننا نعيش في عالم من الاهتزازات ، فالحروف تهتز ويمكن أن نعرف ذلك من خلال مخارج الحروف وهي: مواضع خروج الحروف الهجائية من الفم وظهورها متميزة عن غيرها، كالحروف الحلقية ، والشفوية... .

ما الذي يحدث عندما نقرأ آية الكرسي؟.

ما الذي يميز آية الكرسي عن غيرها من الآيات؟ إنها أعظم آية في القرآن كما أخبر بذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه :" أنه أتاه آت يحثو من الصدقة، و كان قد جعله النبي صلى الله عليه وسلم عليها ليلة بعد ليلة فلما كان في الليلة الثالثة قال : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن و كانوا أحرص شيء على الخير فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي :" الله لا إله إلا هو الحي القيوم " حتى تختمها فإنه لن يزال عليك من الله حافظ و لا يقربك شيطان حتى تصبح فقال: صدقك و هو كذوب [ذاك شيطان] (الألباني، محمد، ص75 ،1977م)، وعند قراءة هذه الآية الآيةَ "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" البقرة: 255 ، فإن كل حرف من حروفها له تردد خاص وعند اجتماع هذه الحروف فإنها تعطي ترددات خاصة نعتقد أنها تؤثر على الأشياء من حولنا ، بما في ذلك طاقة تحول بيننا وبين الشياطين!!.

إن قراءة القرآن بشكل عام تؤثر على كل شيء سواء أكان عاقلاً أم غير عاقل ، فقد أخبرنا الله تعالى أن كل شيء يسبح بحمد الله حتى الجبال ، والجبل كما نعلم هو تراب وصخور، يقول تعالى: " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" الإسراء: 44. ولذلك فإن الجدران من حولنا تتأثر بكلام الله والماء الذي نشربه يتأثر بكلام الله، والطعام الذي نأكله يتأثر بكلام الله ويتغير تركيبه، والا لماذا نهى الله عن أكل اللحوم التي لم يُذكر اسم الله عليها ؟ يقول تعالى: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ" الأنعام: 121.

من هنا يتضح لنا أن للحرف طاقة تؤثر إيجاباً وسلباً في الأشياء ؛ فإننا إذا أقمنا اتحاداً بين الحروف أ، ب ، ج ،... ، فإن اللفظ الناتج يحمل طاقة فاعلة ومؤثرة في حياتنا النفسية والاجتماعية والفكرية و... .

الحروف المقطعة في القرآن الكريم :

ذهب فريق كبير من عظماء المفسرين وعلماء القرآن إلى أن هذه الحروف علماً استأثر الله به واختصه لذاته، أو أنها رموزاً وأسراراً خاصة بين الله جل جلاله وبين رسوله الأمين صلى الله عليه مسلم.

ولكن هذا الرأي يظل عاجزاً أمام ما يزخر به القرآن الكريم من آيات تدعو إلى ضرورة التدبر فيه دون استثناء . قال تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:24] ، وقال: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} [النساء:82] ، وقال: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ(ص:29) .

فلا يمكن أن تكون هناك آية نازلة في القرآن دون أن يكون لفهم الناس وتدبرهم سبيلاً إليها. ولا يستبعد أن يكون في القرآن بعض الأسرار والرموز بين الله عز وجل ونبيه الأكرم صلى الله عليه وسلم، ولكن ليس على مستوى يستوجب غموض الحرف والكلمة ، بحيث يستحيل فك المعنى بالنسبة للمتدبر والمتأمل، وإنما الأسرار والرموز – إن وجدت– فقد تكون بين طيات الكلام ووراء معانيه أو ما شابه ذلك.

ومما يعزز ذلك أنه لم يثبت عن العرب أبان العهد الإسلامي الأول ما يشير إلى عدم فهمهم لمعاني الحروف المقطعة ، فلو كانوا يجهلون ذلك لظهر من هنا وهناك من يسأل عن أسرارها وحقيقتها، ولكان فيها فرصة وذريعة لليهود وغيرهم – من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه – لإحاكة الفتن واختلاق الشبهات للطعن في القرآن بحجة طلسمية آياته بالنسبة لفهم الناس، فكيف يكون {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران:138]؟.

قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور، فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها، ومنهم من فسَّرها،واختلف هؤلاء في معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنما هي أسماء السور. وقال سفيان الثوري،عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد: أنه قال: الم، وحم، والمص، وص،... فواتح افتتح الله بها القرآن . وقال مجاهد أنها: الم،اسم من أسماء القرآن.وقيل أنه اسم من أسماء السور. (ابن كثير ،إسماعيل،ص1999،156م).

وقال آخرون (الطبري،محمد،ص2000،209م): بل ابتدئت بذلك أوائل السُّور ليفتح لاستماعه أسماعَ المشركين–إذ تواصَوْا بالإعراض عن القرآن–حتى إذا استمعوا له، تُلي عليهم المؤلَّفُ منه. وقال بعضهم: الحروفُ التي هي فواتح السُّور حروفٌ يستفتحُ الله بها كلامه.

وقال بعضهم (الطبري،محمد،ص2000،154م): لكل كتاب سرٌّ، وسرُّ القرآن فواتحه.أمَّا أهل العربية، فإنهم اختلفوا في معنى ذلك. فقال بعضهم (الطبري،محمد،ص2000،210م): هي حروف من حُروف المعجم، استُغْنِيَ بذكر ما ذُكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها ، التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفًا ؛ كما استغنى المُخبِر – عمن أخبَر عنه أنه في حروف المعجم الثمانية والعشرين حرفًا – بذكر"أ ب ت ث" ، عن ذكر بواقي حروفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين: قال . ولذلك رُفع(ذَلِكَ الْكِتَابُ)، لأنّ معنى الكلام: الألف واللام والميم من الحروف المقطعة ، ذلك الكتابُ الذي أنزلته إليك مجموعًا لا ريب فيه.

إنَّ أسماَء الرسول الثابتة مُشتقَّةٌ، تدلُّ على معان ، وليس فيها اسم جامد، وليس من أسمائه: طه ويس، قال ابن القيم– رحمه الله– في تحفة المودود(ص:127): " ومِمَّا يُمنع منه التسمية بأسماء القرآن وسُوره، مثل: طه، ويس، وحم" ، وقد نصَّ الإمام مالكٌ على كراهة التسمية بـ: يس، ذكره السُّهيلي، وأمَّا ما يذكره بعضهم أنَّ يس وطه من أسماء النَّبِيِّ فغيرُ صحيح ، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صاحب ، وإنَّما هذه الحروف مثل: الم ، وحم ، والر، ونحوها".

ولعلَّ مَن توهَّم التسمية بـ(طه) و(يس) أخذه من الخطاب للنَّبِيِّ بعد ذكر الحروف المقطَّعة في سورتَي طه ويس، ظانًّا أنَّ هذين من أسمائه ؛ فإنَّ خطابَ النَّبِيِّ جاء أيضاً بعد الحروف المقطَّعة في سورتَي الأعراف وإبراهيم مثلاً ، ولا يُقال: إنَّ من أسمائه لذلك: (المص) ، و(الر).

ويروى عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي العاليه. واستدل لهذا القول بأن العرب قد تطلق الحرف الواحد من الكلمة ، وتريد به جميع الكلمة كقول الزاجر :

قلت لها قفي فقالت لي قاف ... لا تحسبي أنا نسيبنا الإيجاف

فقوله : « قاف » أي وقفت . وقول الآخر :

بالخير خيرات وإن شراً فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

يعني: وإن شراً فشر، ولا أريد الشر غلا أن تشاء. فاكتفى بالفاء والتاء عن بقية الكلمتين. قال القرطبي: وفي الحديث « من أعان على قتل مسلم بشطر كلم » الحديث. قال سفيان: هو ن يقول في أقتل: أ ق. إلى غير ما ذكرنا من الأقوال في فواتح السور، وهو نحو ثلاثين قولاً . (الترمزي،محمد،ص1980،273م).

أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو : أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد، وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب ، ونصره الزمخشري في الكشاف . وأصحاب هذا الرأي قد اختلفوا فيما بينهم في تعيين هذا المعنى المقصود على أقوال كثيرة ، من أهمها ما يأتي (طنطاوي ،محمد،ص12،2010م):

1– إن هذه الحروف أسماء للسور ، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم السجدة حفظ إلى أن يصبح " وبدليل اشتهار بعض السور بالتسمية بها كسورة السجدة.

2–وقيل إن هذه الحروف قد جاءت هكذا فاصلة للدلالة على انقضاء سورة وابتداء أخرى .

3 –وقيل: إنها حروف مقطعة ، بعضها من أسماء الله – تعالى – وبعضها من صفاته،فمثلاً {الاما } أصلها : أنا الله أعلم.

4 – وقيل:إنها اسم الله الأعظم . إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تخلو من مقال، والتي أوصلها السيوطي في "الإتقان" إلى أكثر من عشرين قولاً .

5 –ولعل أقرب الآراء إلى الصواب أن يقال: إن هذه الحروف المقطعة قد وردت في افتتاح بعض السور للإشعار بأن هذا القرآن الذي تحدى الله به المشركين هو من جنس الكلام المركب من هذه الحروف التي يعرفونها، ويقدرون على تأليف الكلام منها ، فإذا عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، فذلك لبلوغه في الفصاحة والحكمة مرتبة يقف فصحاؤهم وبلغاؤهم دونها بمراحل شاسعة ، وفضلا عن ذلك فإن تصدير السور بمثل هذه الحروف المقطعة يجذب

أنظار المعرضين عن استماع القرآن حين يتلى عليهم إلى الإنصات والتدبر، لأنه يطرق أسماعهم في أول التلاوة ألفاظ غير مألوفة في مجارى كلامهم، وذلك مما يلفت أنظارهم ليتبينوا ما يراد منهم فيستمعوا حكماً وحججاً قد يكون سبباً في هدايتهم واستجابتهم للحق.

هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطّعة في أوائل السور فيها إشارة إلى إعجاز القرآن ، فقد وقع به تحدي المشركين ، فعجزوا عن معارضته، وهو مركّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. فَلَمَّ عجز العرب عن الإتيان بمثله –مع أنهم أفصح الناس– على أن القرآن وحي من الله.

قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله) يقال : إن جماعة من اليهود منهم حيى بن أخطب دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : بلغنا أنه نزل عليك " الم "، فإن كنت صادقاً في مقالتك فإن ملك أمتك يكون إحدى وسبعين سنة، لأن الألف في حساب الجمل واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فنزل "وما يعلم تأويله إلا الله". والتأويل يكون بمعنى التفسير، كقولك : تأويل هذه الكلمة على كذا. ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه. واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا يؤول إليه ، أي صار. وأولته تأويلا أي صيرته. وقد حده بعض الفقهاء فقالوا: هو إبداء احتمال في اللفظ مقصود بدليل خارج عنه. فالتفسير بيان اللفظ، كقوله " لا ريب فيه " أي لا شك. (القرطبي، ص1900،15م).

هذه بعض ما جاء من آراء العلماء في الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور القرآنية.

دلالة الحروف على المعاني:

للحروف في اللغة العربية – من الناحية الصوتية الايقاعية قيمة تعبيرية لهذا رأى بعض علمائنا القدامى أن الكلمة العربية مركبة من حروف بوصفها مادة صوتية يمكن النظر إليها كمجموعة دالة، إذ تتآذر إيقاعات الحروف لتعطي معنى خاصاً .

لأن الحرف الواحد في اللغة العربية له قيمة تعبيرية، قال ابن جني :" وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ؛ سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب.وذلك قولهم : بحث. فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث،والبث للتراب". (ابن جني،عثمان،ص1971،163م).

فحرف الحاء (ح): إذا وقع آخر الكلمة دلّ الظهور والامتداد والتفريق ، من ذلك: باح بالسر، ساح الماء ، صاح الرجل ، فاح الطيب، لاح القمر(ظهر)، سرح الشعر، شرح الكلام، صرح بما ينوي، فضح أمره.

حرف الشين(ش): في أول الكلمة يدلّ على التفريق: شتت شملهم، شطر الشيء، شاع الخبر، شف الثوب.

حرف التاء(ت): إذا جاء ثاني الكلمة دلّ على القطع: بت الحبل، بتر العضو.

حرف الثاء(ث): إذا كان ثاني الكلمة دلّ على الانتشار: بث الخبر، بثق النهر(انفجر ماؤه).

أحرف السين والصاد والضاد والطاء : إذا كانت ثاني الكلمة دلت على القطع: حسم ، حصد، قص، قط ، قطف.

حرف الغين(غ): في أول الكلمة يدل على الاستتار والظلمة والخفاء: غابت الشمس، غاض الماء، غطس السّباح، غسق الليل ، غشيه الأمر، غمره الماء ، غرس، غرق ، غفا، غبن، غطى.

حرف النون(ن): في أول الكلمة يدل على الظهور والبروز: نفث ، نفخ ، نبت ، نبث ، نبذ، نزف، نزع ، نجم ، نشأ، نما، نطق ، نهض.

حرف القاف(ق): في المجموعات التالية : يتضمن معنى الاصطدام أو الانفعال ويقترن بحدوث صوت شديد تصوره القاف في شدتها: قدّ ، قطع ، قرع ، قذف/ دق ، شق ، طق ، عق ، طرق.

حرف السين(س): في أول الكلمة يفيد الليونة والسهولة: سهل، سلم، سل، سلس، سال، سار، ساب، ساق، سما، سعد ، سكن.

دلالة زيادة الحرف ونقصه في الكلمة :

في كل لغة من لغات العالم اصطلاحات خاصة ، يعرفها أبناء تلك اللغة ويعرفها من يتعلمون لغتهم من أبناء اللغات الأخرى ، لذا على أبناء العربية ألا يعجبوا من حذف بعض الحروف أو زيادة أخرى ، فكلمة knee الإنجليزية تعني الركبة، لا يلفظ فيها بحرف ال "k" الموجود في أولها، فكل اللغات فيها الحذف والزيادة ، فحروف الحذف في العربية هي الحروف التي تحذف من الخط وينطق بها ، وأشهرها: الألف والواو والياء وال التعريف . أما حروف الزيادة فهي : الألف والواو.

ومن ذلك قوله تعالى:فَما اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً" الكهف:97،قوله تعالى: "فَما اسْطَاعُوا "و"ما استطاعوا" معناهما واحد، وسبق في قصة موسى مع الخضر "ما لم تستطع"، و"مالم تستطيع"." فَما اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ"، يعني أن يصعدوا عليه؛ لأنه عالٍ ؛ ولأن الظاهر أنه أملس، فهم لا يستطيعون أن يصعدوا عليه ." وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً" ، لم تأت التاء في الفعل الأول (اسطاعوا) وأتت فيه ثانياً ، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، أيهما أشق أن يصعدوا الجبل أو أن ينقبوا هذا الحديد ؟ الجواب: الثاني أصعب ولهذا قال:"وَما اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً" ؛ لأنه حديد ممسوك بالنحاس، فصاروا لا يستطيعون ظهوره لعلوه وملاسته، فيما يظهر، ولم يستطيعوا له نقباً لصلابته وقوته، إذاً صار سداً منيعاً وكفى الله شر هؤلاء المفسدين وهم يأجوج ومأجوج. (العثيمين،الشيخ،ص2001،108م).

ومن خصائص مخالفة مقتضى الظاهر هنا إيثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى؛ لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه ، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى .

ففي الفرق بحرف بين معنيين، يقال: أقسط الوالي إذا عدل، ومنه قوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "(42). المائدة42 ، (وقسط الحاكم) إذا ظلم ومنه قوله تعالىوَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15)" .الجن15 .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقْبَلَ رَاكِبٌ حَتَّى أَنَاخَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ مَسِيرَةِ تِسْعٍ ، أَصْبَحْتُ بَنِي وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، لأَسْأَلَكَ عَنْ خُطَّتَيْنِ أَسْهَرَتَانِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ: أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ، قَالَ: لَبَّى أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ، قَالَ: أَسْأَلُكَ عَنْ عَلامَةِ اللَّهِ فِيمَنْ يُرِيدُ ، وَعَنْ عَلامَتِهِ فِيمَنْ لا يُرِيدُ، إِنِّي أُحِبُّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِ، وَإِنْ عَمِلْتُ بِهِ أُيِقِنْتُ ثَوَابَهُ فَإِنْ فَاتَنِي مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلامَةُ اللَّهِ فِيمَنْ يُرِيدُ، وَعَلامَتُهُ فِيمَنْ لا يُرِيدُ، لَوْ أَرَاكَ فِي الأُخْرَى هَيَّأَكَ لَهَا ثُمَّ لَمْ يُبَالِ فِي أَيِّ وَادٍ سَلَكْتَ. (الألباني ، محمد،ص197، 1993م).

فالشاهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم استبدل الخيل بالخير، وإن كان الخيل معقود بنواصيها الخير، ليدلل أن الراء في الخير أوفى لمحدثه من اللام في الخيل.

حرف الروي:

بالنسبة للحروف في آخر الأبيات الشعرية كل حرف من الحروف المعروفة له دلالة خاصة مثل الحروف التي تدل على الشدة والقوة والحروف الرخوية وغيرها ، لكن إذا أردت معرفة الدلالة الخاصة لحرف الروي في أي قصيدة ، فإنك تأخذ دلالته من المعنى العام لهيكل القصيدة، فلا بد للحرف أن يناسب موضوع القصيدة. علاوة على الحرف لا بد أن ننتبه للحركات التي تصاحب الحرف فمثلاً الكسرة تكون دلالتها الشدة في الشيء وتناسبها في الحروف الياء كما هو معروف، والسكون للدلالة على الهدوء وهكذا ، فلا بد أن تستنبط دلالة الحرف من الموضوع العام .

وهو حرف تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال قصيدة لامية أو سينية ، إذا كان حرفها الأخير لاماً أو سيناً ، ولا بد من تكريره فيكون في كل بيت. ومن ذلك قول بشار بن برد (بدوي، عبده، ص17، 2000م) :

وَذاتِ دَلٍّ كَأَنّ الشمسَ صُورَتُها... بَاتَتْ تُغَنّي عَمِيدَ القَلْبِ سكرَانا

إنّ العُيُونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ... قَتَلْنَنا ثُمّ لا يُحيينَ قَتلانا

فقلتُ: أحسَنتِ يا سؤلي ويا أَملي... فَأسمعيني، جَزَاكِ اللهُ إحسَانا

يا حَبّذا جَبَلُ الرّيانِ من جَبلٍ... وَحَبّذا سَاكِنُ الرّيانِ مَن كانا

قالت:فهلاّ فَتَكتِ النفسُ أحسن من... هذا لَمَن كان صبّ القَلبِ حَيرَانا

يا قَوْمِ أُذني لَبعضِ الحيّ عاشِقَةٌ ... وَالأذنُ تَعشَقُ قبلَ العَينِ أحيانا

فقلتُ:أحسَنتِ! أنتِ الشمسُ طالعةً ...أضرَمتِ في القَلبِ وَالأحشَاءِ نِيرَانا

فَأسمعينا غِنَاءً مُطرِباً هَزِجاً ... يزيدُ صَبّاً مُحِبّاً فيكِ أشجَانا

يا لَيتني كُنتُ تُفّاحاً مُقَبَّلَةً ... أو كُنتُ من قُضُبِ الرّيحانِ رَيحَانا

النون التي بين حرفي مد في القافية صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ، ومن المعروف أنها تتأثر بما يجاورها من الأصوات، بل وتفنى في بعض الأصوات ، وقد قيل إن المقرئين يتحايلون على عدم فنائها بما يسمى الغنة ،فهي تطيل صوتها مع تردد موسيقي محبب،وقد زاد في كمية التردد الموسيقي في القافية وجود ألف قبل النون وبعدها، ثم إن هذه النون لا يقف تأثيرها عند القافية ، وإنما تتردد بكثرة في كل أبيات القصيدة من الداخل ، وهذ النوع من القافية يسمى "الإرصاد"، والنون حرف شادي له رنين يلائم الوصف ، فقد برع بشار في موسيقية هذا النص.

ومن ذلك قول المتنبي (المتنبي، أبو الطيب،ص394، 2007م):

عيدٌ بِأَيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ بِما مَضى أَم بِأَمرٍ فيكَ تَجديدُ

أَما الأَحِبَّةُ فَالبَيداءُ دونَهُمُ فَلَيتَ دونَكَ بيداً دونَها بيدُ

لَولا المُلى لَم تَجُب بي ما أَجوبُ بِها وَجناءُ حَرفٌ وَلا جَرداءُ قَيدودُ

وَكانَ أَطيَبَ مِن سَيفي مُضاجَعَةً أَشباهُ رَونَقِهِ الغيدُ الأَمالِيدُ

لَم يَترُكِ الدَهرُ مِن قَلبي وَلا كَبِدي شَيئاً تُتَيِّمُهُ عَينٌ وَلا جيدُ

يا ساقِيَيَّ أَخَمرٌ في كُؤوسِكُما أَم في كُؤوسِكُما هَمٌّ وَتَسهيدُ

إِذا أَرَدتُ كُمَيتَ اللَونِ صافِيَةً وَجَدتُها وَحَبيبُ النَفسِ مَفقودُ

ماذا لَقيتُ مِنَ الدُنيا أَعَجِبُهُ أَنّي بِما أَنا باكٍ مِنهُ مَحسودُ

أَمسَيتُ أَروَحَ مُثرٍ خازِناً وَيِداً أَنا الغَنِيُّ وَأَموالي المَواعيدُ

إِنّي نَزَلتُ بِكَذّابيضَفيهُم عَنِ القِرى وَعَنِ التَرحالِ مَحدودُ
جودُ الرِجالِ مِنَ الأَيدي وَجودُهُم مِنَ اللِسانِ فَلا كانوا وَلا الجودُ

حرف الروي هنا يلزمه الردف وهو أحد حروف المدّ واللين ، فالقصيدة تجتمع فيها الواو والياء، وهذا مسموح به؛ لأن الضمة والكسرة أختان بعكس الألف، لأنها إذا جاءت لزمت القصيدة،ومن الطبعي أن الحذو– وهو كسر ما قبل الواو – يتبع الردف ، فالقصيدة تتكون من قفزات متصاعدة حتى تصل إلى قمة قلقة في النهاية ، ثم إذا كان محورها الرئيس هو الترحل في غضب عن مصر، فإن القافية المضمومة تعطي هذا الإحساس كما تعطي الرغبة في الاندفاع أماماً للخروج بوضوح ويقظة ، وبما فيها من ضمة .

الخاتمة:

الحرف النواة الأولى لأي لفظ وتعبير، والاحتفاء به من باب الاحتفاء بجمال وجلال اللغة العربية المكرمة من عند الله سبحانه وتعالى، وللحرف قوة مادية ومعنوية ودلالية عميقة يدركها كل من استوقفته لغة الضاد وأدرك دررها الخبيئة ، فوظّف ذلك في مناحي مختلفة : فأهل الجلال قالوا إنه السر العظيم، والدواء الشافي من أسقام الدنيا، وسقطات الشياطين، وباعث الطمأنينة للنفس ، والملهم لسبر غور أي الذكر الكريم ، بينما قال أهل الجمال إنها الكلم الطيب وزهرة الحياة وحافز الإبداع من خلال الإشباع النفسي والعاطفي والاجتماعي ، وهي بين ذاك وذلك سر الوجود ، حيث ذكر الثعالبي: إن كنت تعلم أن الله خالقك وعبدت مخلوقاً فما أنت بمؤمن. وإن كنت في شك من الرزق الذي كفل الله به فلست بموقن. أن يستعبدك الطمع في المخلوق فتنقص من الدين. وتزري باليقين. واسترزق الله فإن رزقه بين الكاف والنون. أعنى قوله كن فيكون ، ومن ذلك قول الشاعر:

إنَّ الذي أَنْزى بشمسِ سَمائِه ... فأبداهُ نُوراً والخلائقُ طينُ
تأنَّقَ فيه كيفَ شاءَ وإنما ... مقالتُهُ للشيءِ كُنْ فيكُونُ

المراجع:

1. إبراهيم، يوسف (2012م)– نورانية الحروف وأعمدة الضياء–صحيفة المدينة– العدد 18425.
2. آبادي، الفيروز (1935م)– القاموس المحيط–ج 2– المطبعة المصرية– القاهرة.
3. أحكام تجويد القرآن(2009م)– موقع أحبة القرآن –الإصدار الثالث–فلسطين – غزة.
4. أحمد، الخليل (1989م)– كتاب العين – تحقيق د.مهدي المخزومي– ج 1 –بغداد.
5. الألباني، محمد (1977م) –الكلم الطيب – تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني – ط3–ج1– المكتب الإسلامي – بيروت.
6. الألباني، محمد ناصر الدين (1993) –ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم– المكتب الإسلامي – بيروت – ط3 – ج 1.
7. أنيس، إبراهيم (1981م)–الأصوات اللغوية – ط 6– القاهرة.
8. بدوي ،عبده (2000م)– دراسات في النص الشعري "العصر العباسي"– دارقباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.
9. الترمذي، محمد (1980م)– مختصر الشمائل المحمدية – المكتبة الإسلامية–عمان– الأردن تحقيق : اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني –ج2.

10. التلمساني ،أحمد (1997م)- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق:إحسان عباس – ج3-ط1- دار صادر- بيروت – لبنان.
11. الجزائري، عبدالقادر (2011م) - ذكرى العاقل وتنبيه الغافل – موقع الوراق - http://www.alwarraq.com -ج1.
12. الجوهري، حماد (1956م)- الصحاح في اللغة - ج 1 – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- مطابع دار الكتاب العربي- القاهرة.
13. ابن جني ،عثمان (1971م)- الخصائص – ط.القاهرة – تحقيق أ. النجار-ج2.
14. السيوطي ،عبد الرحمن (1967م)- المزهر في علوم اللغة – تحقيق:محمد أحمد جاد المولى وآخرين – طبعة عيسى البابي الحلبي- مصر.
15. العثيمين، الشيخ (2001م)- تفسير العثيمين- موقع العلامة العثيمين – ج6.
16. فارس ،أحمد (1989م)- الكتابة والتعبير- ط3- دار الفكر اللبناني- بيروت- ص56.
17. القرطبي (1900م)- تفسير القرطبي- الجامع لعلوم القرآن – دار الغد العربي- ط1- ج1.
18. ابن كثير، إسماعيل (1999م) - تفسير القرآن العظيم - المحقق: سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع – ط2-ج1.
19. لبيب ،السعيد (1970م)- التغني بالقرآن- الهيئة العامة للتأليف والنشر.
20. مالك ، نبي (1961م)- الظاهرة القرآنية- من مقدمة محمود محمد شاكر ترجمة: عبد الصبور شاهين – مكتبة دار العروبة.
21. المتنبي، أبو الطيب(2007م)- ديوان المتنبي- تحقيق: د.إسماعيل العقباوي- دار الحرم للتراث- القاهرة.
22. مجلة البيان (1993م) – العدد 69- ج 73 / ص 23 - الترمذي 5/ 75 ح 2915 صححه الألباني في صحيح الجامع. 345/5 ح 6345.
23. محمد الطبري (2000م)- جامع البيان في تأويل القرآن - المحقق : أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة – ط1- ج1.
24. محمد طنطاوي (2010م)-التفسير الوسيط - موقع التفاسير- http://www.altafsir.com -ج1.
25. محمد، مناف (1998م)- علم الأصوات اللغوية – ط1- عالم الكتاب- بيروت.
26. الهاشمي، السيد (2005م)- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – راجعه. يوسف الصميلي- ط1- ج2- المكتبة العصرية.